



إصلاح من أين ؟

القاهرة - النيل كعادته ينضح بأصوات الساهرين، و"الزحمة" هي هي حتى الهزيع الاخير من الليل. لا مؤشر على ضعفتي "البحر"، ولا في الشوارع الاخرى، يؤكد ان "الناس قلقانة" على ما قاله سائق سيارة الاجرة. وكأن لا شيء يمكنه ان يهزم مصر بثقل ارضها وكثافة ناسها. انها نهاية اسبوع عادية، وإن جاءت في ختام اسبوع غير عادي.

القلق الذي لا يستشعره الزائر في الشارع، يستطيع تلمسه عند مشاهدة اخبار التلفزيون. بين الانبياء الآتية من المانيا عن صحة الرئيس حسني مبارك وظهوره المفاجئ على الشاشة، عبر الاقمار الاصطناعية، عند الحادية عشرة مساء الاربعاء، يطمئن المواطنين ويطلب منهم اعتباره في اجازة فحسب، اختصرت القناة الاولى اجتماع وزراء الاعلام العرب في مقر الجامعة العربية بعرض مشاهد متتالية لرؤساء الوفود يتمنون الواحد تلو الآخر الشفاء العاجل لـ"الزعيم" و"القائد".

اما زميلهم المصري صفوت الشريف الذي اتى الكلام على انتقاله من وزارة الاعلام والامانة العامة للحزب الوطني الحاكم الى منصب رئيس مجلس الشورى، الفخري الى حد بعيد، ليعطي مرض الرئيس وغيابه بُعدا سياسيا، فهو لا يزال يملأ الشاشة (للمرة الاخيرة؟)، من اجتماع الوزراء العرب في مقر الجامعة الى اللقاءات التحضيرية لتبوءه منصبه الجديد، فضلا عن افتتاح مهرجان القاهرة العاشر للتلفزيون. فعلا، انها نهاية اسبوع غير عادي.

وما يتلمسه الزائر من التلفزيون، يؤكد ما يسمعه في المبنى الملاصق لمقر الجامعة العربية، اي فندق "هيلتون" حيث اجتماع اعلامي من نوع آخر لم يحظ بتغطية التلفزيون الرسمي ولم يتطرق الى مرض الرئيس او حتى خلافته. هنا، نخبة من الصحافيين المصريين من اجيال مختلفة، تفيد هواجسها السياسية ان ما تعيشه ليس مجرد اسبوع غير عادي، بل مرحلة ازمة، وان الامر لا يرتبط فقط بالتدهور الاخير لصحة الرئيس.

"الدولة كلها تعاني انزلاقا غضروفيا"، قال زميل مصري خلال احدى جلسات المؤتمر الذي تنظمه هيئة الاذاعة البريطانية ضمن سلسلة افتتاحها في بيروت واكملتها في دمشق. وكدليل على "الانزلاق"، تأنيك الامثلة بالعشرات من خلال رواية الزملاء المصريين لتجاربههم، سواء في الاعلام الحكومي او في الاعلام الخاص، وكلها تلتقي عند رصد الالتباس الذي تعيشه مصر في ظل نظام لا هو ديموقراطي ولا هو متسلط بالكامل.

بيد ان الانزلاق الغضروفي ليس وفقا على الدولة. تتبين ذلك حين تسمع صحافيا يجزم بأن هذا المؤتمر مرتبط بمشروع "الشرق الاوسط الأكبر". مرحبا بالشرق الاوسط الاكبر، فيرد عليه زميل آخر، رغم انتمائه الناصري: "يا ليتهم يفعلون ما يقولون، هؤلاء الاميركيون والبريطانيون، لكنهم ذرائعيون".

مرحبا بالشرق الاوسط الاكبر؟ المسألة تتجاوز مصر لتطول كل الدول العربية حيث الاصلاح يملأ افواه المسؤولين من دون ان يتغير شيء في صيرورة مجتمعاتهم ما لم يجبرهم احد على التغيير. طبعاً، قد تكون مصر افضل حالا من غيرها. فقضية الاصلاح هنا لا يظللها تمزق دموي كما في السعودية، ولا يطمسها الطغيان المخابراتي على الحياة اليومية كما في سوريا. اصلا، ليست مصر



مثل سوريا لا ينفك المحللون يقولون الى الآن، رغم طرح مسألة توريث السلطة الى ابن الرئيس الحالي على غرار ما حصل في دمشق قبل اربعة اعوام. ولأن مصر افضل حالا، فانها قد تكون اكثر انباء عن العجز الكلي للانظمة العربية على اصلاح نفسها وعن نزعة بعض نخبها الى قبول الذرائع الوطنية الواهية التي يتسلح بها رفض الاصلاح. لكن مصر قد تكون ايضا، وخصوصا، وراء الحيرة واللامبالاة الظاهرة، المكان الذي ينبئ عن استحالة استمرار الجمود تحت طائلة الخراب، وان الاصلاح قد نضجت ظروفه، فمن اين يأتي؟

سمير قصير



Id-Reference	04-Pr-000644	
Media	(Support)	HC
Title		إصلاح من أين؟
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٤/٦/٢٥ 25/6/2004
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	حسني.مبارك – صفوت.شريف
	Locations	مصر – المانيا – سوريا – لبنان – نيل – قاهرة – بيروت – دمشق – سعودية
	Dates	
	Themes	مصر – حسني.مبارك – مرض.رئيس.جمهورية – جامعة.عربية – وزراء.اعلام – حزب.وطني.حاكم – نظام.مصري – اعلام.مصري – مشروع.شرق.أوسط.كبير – عرب – مخابرات.سورية – أنظمة.عربية –
Subject		